المحاضرة رقم 09:

الجزائر ووحدة المغرب العربي 1939 . 1954

إن الروابط والاتصالات التي جمعت الحركات الوطنية في الأقطار الثلاث فسحت المجال أمام بروز مظاهر التضامن المثالية، فلم يعد يستجد حدثا في احد الأقطار حتى يكون له صداه في القطرين الأخرى،وهكذا رد الحزب الدستوري الحر بقوة على حل الإدارة الفرنسية لنجم شمال إفريقيا عام 1937 وعلى اعتقال علال الفاسي ورفاقه ونفيهم خارج البلاد ورد حزب الشعب بالمثل على سياسة الاضطهاد الفرنسية في تونس([1]).

وقد سمحت ظروف الحرب العالمية الثانية بتبلور توجهات ثورية ورسم خطط منسقة بين الجزائريين والتونسيين والمغربيين للثورة على فرنسا وجرت عدة اتصالات بين قادة الحركات الوطنية في أوربا والقاهرة، أكدت على أهمية التنسيق السياسي واستغلال جميع الفرص للضغط على فرنسا، وقد أدى تصلب الاستعمار في مواجهة الحركات الوطنية في الأقطار الثلاث إلى بروز قوة ثورية أصبح لها وزنها على حساب القيادات التقليدية، خاصة وقد أكدت مأساة الثامن ماي بالجزائر وسياسة الإصلاح والانتخابات المزورة في تونس والمغرب أن الاستعمار لا يمكن دحره إلا بقوة السلاح([2]).

وقد اجتهد مناضلو حزب الشعب المحل في إرساء ميثاق تحالف جمع بين الأحزاب الوطنية الثلاث حزب الشعب الجزائري، الحزب الدستوري الحر التونسي وحزب الاستقلال المغربي، ونص على إقامة جبهة موحدة ضد الاستعمار وأخذ هذا التوافق الضمني صبغته الرسمية بإنشاء مكتب المغرب العربي عام 1947 ولجنة تحرير المغرب العربي عام 1948 وعلى الرغم من أهمية التنظيمين إلا أن تجسيد مقررات الوحدة والتنسيق لم يتم تفعيلها مما دفع حركات الانتصار للحريات الديمقراطية للتحرك على صعيد المغرب العربي بحثا عن تنسيق ميداني وفعال، وقد أرسلت الأمين دباغين([3]) إلى تونس للتباحث مع المناضلين التونسيين في أمر تشكيل منظمة سرية في تونس تنسق عملها مع المنظمة

---

[1] انظر عامر رخيلة: **المرجع السابق**، ص 283 وما بعدها.

[2] محمد الميلي: **المغرب العربي بين حسابات الدول ومطامح الشعوب**، مرجع سابق، ص .ص، 22.21

[3] محمد الأمين دباغين (1917_2004) مناضل ثوري تولى قيادة الحركة الوطنية إثر اعتقال مصالي ورشح لقيادة الثورة، عمل في الوفد الخارجي وتولى وزارة الخارجية حتى 1960 .

السرية الجزائرية وفي جانفي 1949 أرسلت بعثة ثانية ضمت ابن بلة وبوقادوم و دردور للالتقاء مع المناضلين التونسيين والتباحث مع الحزب الدستوري الحر خطة إنشاء جبهة كفاح مغاربية موحدة لكن صالح ابن يوسف([4])، تردد بشان ذلك وشكك بنجاح مغامرة لم يضعها حزبه في الحسبان ورد على محدثيه بالقول أن أي توحيد للجهود يعرقل استقلال تونس وهي تختلف في وضعيتها عن الجزائر التي تعد مستعمرة فرنسية ولم يستطع ابن بلة اختراق الحزب ولكنه كسب عددا من المناضلين لفكرته واتفق معهم على التعاون في مجال صنع المتفجرات وعاد ابن بلة ومعه مجموعة من الخبراء لتدريب الدستوريين على صنع واستخدام المتفجرات([5]).

وفي ماي 1949 سعت حركة الانتصار لعقد لقاء ثلاثي في طنجة تغيب عنه الحزب الدستوري التونسي وحضره محمد خيضر وشرشالي الذين ناقشا قادة حزب الاستقلال وعلى رأسهم علال الفاسي مسألة الإعداد للعمل المسلح المشترك لكن الحزب استبعد الدخول في العمل العسكري موضحا انه يعول في هذه المرحلة بالدرجة الأولى على كسب موقف السلطان لمطالبه الاستقلالية، وبعد هذا اللقاء انتقل دباغين إلى المغرب وبحث الموضوع مع ابن بركة دون أن يتوصل معه إلى أي نتيجة ([6]) .

لقد كانت خيبة أمل الثوريين الجزائريين كبيرة، وقد اكتشفوا انه ليس من السهل دفع الحزب الدستوري وحزب الاستقلال للعمل الثوري المشترك وللاعتراف بوحدة المغرب العربي، ويبدوا أن الاختلافات السياسية والاجتماعية والتخوف من الارتباط بالحركة الثورية الجزائرية فرض واقع الخيار القطري في تونس والمغرب، وهذا الأمر دفع بالحزب إلى مواصلة التنسيق السياسي في حين كان قادة المنظمة الخاصة يؤمنون أن الوحدة يمكن أن تتجسد عمليا بعد اندلاع الثورة وأن العناصر الثورية وحدها القادرة على فرض خياراتها على القيادات البرجوازية التي تربط نضالها بمصالحها الذاتية ولا تسمح بالثورة الحقيقية .

---

[4] صالح بن يوسف (1907_1961) مناضل وطني تولى الإشراف على الحزب الدستوري الحر في غياب بورقيبة، عارض سياسة بورقيبة التفاوضية وطالب بالاستقلال التام لتونس ووحدة المعركة المغاربية .

[5] انظر محمد حربي :**المرجع السابق**، ص . ص، 58 .59.

[6] انظر محمد حربي: **المرجع نفسه**، ص58

وقد تدعمت العلاقات مع المناضلين التونسيين والمغربيين كذلك في فرنسا، حيث كانت الأحزاب الوطنية تشرف على تأطير الجالية المتواجدة في المهجر وتنهض بالنشاط الخارجي، وتوضح شهادة أحمد بن صالح أن تجربة النضال الطلابي المشترك عمقت الشعور بالوحدة والتواصل السياسي "انطلقنا في العمل المشترك مع الإخوان الجزائريين والمغاربة، وقد ساعدتنا صداقتنا الشخصية التي ربطت بيننا في ذلك الطور والتي امتدت إلى مراحل فيما بعد الاستقلال، وقد أمكن لنا في إطار الأنشطة المشتركة للشباب الطالبي أن نقوم بما نستطيع ..."، وأكد ابن صالح أن تجربة العمل المشترك في فرنسا أفادت كثيرا في التقارب بين الحركات السياسية والعمالية الشمال إفريقية، "وفي هذه الأجواء تعمقت وشائج الأخوة واستحكمت روابط الصداقة مع الإخوان الجزائريين"([7])، وتعزز التعاون مع حزب الاستقلال المغربي بشكل واضح، فارسيت العلاقة مع بوعبيد ممثل الحزب في فرنسا، وقد عزز الوضع في المغرب بعد نفي الملك التحالف مع الجبهة المغربية كما دلت على ذلك مباحثات علال الفاسي مع بولحروف في جنيف ([8])، ويذكر محمد بوضياف([9]) أنه ربط الاتصال مع ابن هيمة الذي خلف بوعبيد في مسؤولية الحزب بفرنسا، وذلك بهدف التنسيق الثوري وبلورة مواقف نضالية مشتركة([10])

ولعل من أهم ثمار التنسيق السياسي التي تحض بالإشادة دائما الاجتماع التنسيقي الذي جمع الأحزاب الوطنية المغاربية في مقر إقامة مصالي الحاج بباريس في 28 جانفي 1952، والذي قررت فيه الأحزاب المغاربية([11])، بعد مناقشتها للتطورات المستجدة في المغرب العربي إنشاء جبهة للاتحاد والعمل المغربية([12])، وركزت هذه الجبهة الجديدة على

---

[7] انظر، عبد الجليل التميمي وآخرون: **شهادة احمد بن صالح السياسية ،إضاءات حول نضاله الوطني والدولي** منشورات مؤسسة التميمي، زغوان، 2002، ص . ص، 90 . 96

[8] انظر حديث محمد حربي عن العلاقات الجزائرية المغاربية، جريدة **الاتحاد الاشتراكي**، المغرب، عدد يوم 20 أوت 1955 .

[9] محمد بوضياف (1919_1992) مناضل ثوري لعب دورا مهما في تفجير الثورة التحريرية، تولى التنسيق بين الداخل والخارج والنهوض بمهمة التسليح وذلك بالتنسيق مع= =المقاومة المغربية، بعد الاستقلال عارض السلطة واستقر في المغرب، عين في جانفي 1992 رئيسا للدولة واغتيل في جوان من السنة نفسها .

[10] انظر حوار محمد بوضياف مع جبرو عبد اللطيف: ثلاثون عاما مرت على اندلاع الثورة الجزائرية، **الاتحاد الاشتراكي**، عدد 1 نوفمبر 1984 .

[11] الأحزاب المصادقة على الميثاق هي الأحزاب الجزائرية: (حركة انتصار الحريات الديمقراطية ،الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري ،جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) والأحزاب المغربية: (حزب الاستقلال، حزب الإصلاح الوطني ،حزب الوحدة، حزب الثورة و الاستقلال) والأحزاب التونسية: (الحزب الدستوري الحر، الحزب الدستوري القديم، الجبهة الوطنية التونسية)

[12] انظر جريدة **المنار**، السنة 1، العدد 16 (15 فيفري 1952)

العمل السياسي والدعائي، وجمعت بشكل صوري بين الأحزاب الثورية والإصلاحية، ولم تحقق نتائج مهمة فكان على القوى الثورية أن تأخذ بزمام المبادرة وأن تنتهج الخيار المسلح، وهكذا اندلعت حركة المقاومة في تونس وعمت بشراها في كامل المغرب العربي، وهب المتطوعون الجزائريون والمغربيون للانخراط فيها.

وقد بذل احمد ابن بلة بعد نزوله في القاهرة جهودا مضنية لكسب الثوار التونسيين والمغربيين لتوحيد المعركة المغاربية باعتبارها الحل المثالي والناجع لعلاج للقضية الجزائرية واتفق مع الخطابي على إنجاح هذه الإستراتجية وتعميمها ورد بوضياف بإيجاب على مبعوثي الخطابي اللذين جاءا بهدف تنظيم مقاومة مسلحة تشمل الأقطار الثلاث، وفي صيف 1954 نجح الثوريون في إنشاء جيش تحرير المغرب العربي بإشراف كل من ابن بلة عن الجزائر ومحمد حمادي العزيز عن المغرب وعز الدين عزوز عن تونس ([13])، وعادى هذا التوجه الثوري المغاربي الأحزاب السياسية ودعا إلى تجسيد الأهداف والمطامح التي آمنت بها الحركة الثورية،وهي الأهداف التي شدد عليها ثوار أول نوفمبر 1954 بنقلهم العمل الثوري الوحدوي من مجال التنظير إلى ميدان العمل المباشر وتأكيدهم بأن المواجهة المشتركة للاحتلال الفرنسي وحدها تضمن الاستقلال التام ووحدة المغرب العربي.

وهكذا يتضح لنا أن المغرب العربي الذي تعزز روابطه الجغرافية والدين واللغة يمثل مثالا فريدا لما يمكن أن ينشأ من علاقات حميمية بين أقطار متجانسة وشعوب متضامنة، وا ٍن لم يسعف المجال استعراض الماضي البعيد حيث لم تكن هناك ثمة حدود مرسومة ولا كيانات متمايزة في الغالب فإن الصورة الموجزة المقدمة عن العمل النضالي المشترك في فترة الاحتلال الفرنسي تؤكد أن مشروع التضامن والوحدة كان حلما يجمع المغاربة، وأن الحركات النضالية والسياسية اهتمت ببعد الوحدة والتضامن، وحرصت الحركة الثورية الجزائرية منذ عام 1926 على تجسيد وحدة الكفاح المسلح ضد العدو المشترك واعتبرت أن ذلك وحده يعزز القضية الجزائرية ويكفل التحرير الشامل، غير أن اختلاف التوجهات وقف حائلا أمام تجسيد وحدة العمل المسلح، وأملت الثورة الجزائرية الكثير بتعويلها على مشروع مغربة الحرب كخيار استراتيجي لتحرير المغرب العربي وتوحيده

---

[13] M hamed YOUSFI **:L algerie en marche**، ENAL Alger ; 1985 ;P145